

تفسير البحر المحيط

@ 413 محمد عن تعيب آلهتنا وتعيينا ، لنسلطها عليه فتصيبه بخبل وتعتريه بسوء ،
فأنزل ا : { أَلَيْسَ اللَّـهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ } : أي شر من يريده بشر ، والهمزة
الداخله على النفي للتقرير ، أي هو كاف عبده ، وفي إضافته إليه تشريف عظيم لنبيه .
وقرأ الجمهور : عبده ، وهو رسول ا صلى ا عليه وسلم) . وقرأ أبو جعفر ، ومجاهد ،
وابن وثاب ، وطلحة ، والأعمش ، وحمزة ، والكسائي : عباده بالجمع ، أي الأنبياء والمطيعين
من المؤمنين ؛ { وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ } : وهو الأصنام . ولما بعث
خالدًا إلى كسر العزى ، قال له سادنها : إني أخاف عليك منها ، فلها قوة لا يقوم لها شيء
. فأخذ خالد الفأس ، فهشم به وجهها ثم انصرف . وفي قوله : { وَيُخَوِّفُونَكَ } ، تهكم
بهم لأنهم خوفوه بما لا يقدر على نفع ولا ضرر . ونظير هذا التخويف قول قوم هو دلّه : { إِنْ
نَقُولُ إِلَّا لَـَّاءَ تَرَوُنَّ أَعْيُنُهُمْ كَالْعِشَاقِ إِذْ يَعْبُوءْنَ } . وقرء : { عَلَيَّ عَبْدَهُ }
على الإضافة ، ويكافي عباده مضارع كفى ، ونصب عباده فاحتمل أن يكون مفاعلة من الكفاية ،
كقولك : يجازي في يجزي ، وهو أبلغ من كفى ، لبنائه على لفظ المبالغة ، وهو الظاهر
لكثرة تردّد هذا المعنى في القرآن ، كقوله : { فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّـهُ } . ويحتمل
أن يكون مهموزاً من المكافأة ، وهي المجازاة ، أي يجزيهم أجرهم . .
ولما كان تعالى كافي عبده ، كان التخويف بغيره عبثاً باطلاً . ولما اشتملت الآية على
متهدين وضالين ، أخبر أن ذلك كله هو فاعله ، ثم قال : { أَلَيْسَ اللَّـهُ بِعَزِيزٍ }
: أي غالب منيع ، { ذِي انتِقَامٍ } : وفيه وعيد لقريش ، ووعد للمؤمنين . ولما أقروا
بالصانع ، وهو ا ، أخبرهم أنه تعالى هو المتصرف في نبيه بما أراد . فإن تلك الأصنام
التي يدعونها آلهة من دونه لا تكشف ضراً ولا تمسك رحمة ، أي صفة وسعة في الرزق ونحو ذلك
. وأرايتم هنا جارية على وضعها ، تعدت إلى مفعولها الأول ، وهو ما يدعون . وجاء المفعول
الثاني جملة استفهامية ، وفيها العائد على ما ، وهو لفظ هن وأنت تحقيراً لها وتعجيزاً
وتضعيفاً . وكان فيها من سمى تسمية الإناث ، كالعزى ومناة واللات ، وأضاف إرادة ا الضر
إلى نفسه والرحمة إليها ، لأنهم خوفوه مضرتها ، فاستسلف منهم الإقرار بأن خالق العالم هو
ا . ثم استخبرهم عن أصنامهم ، هل تدفع شرّاً وتجلب خيراً ؟ وقرأ الجمهور : كاشفات
وممسكات على الإضافة ؛ وشيبة ، والأعرج ، وعمرو بن عبيد ، وعيسى : بخلاف عنه ؛ وأبو عمرو
، وأبو بكر ؛ بتنوينهما ونصب ما بعدهما . ولما تقرر أنه تعالى كافية ، وأن أصنامهم لا
تضر ولا تنفع ، أمره تعالى أنه يعلم أنه تعالى هو حسبه ، أي كافية . والجواب في هذا

الاستخبار محذوف ، والتقدير : فإنهم سيقولون : لا تقدر على شيء من ذلك . وقال مقاتل :
استخبرهم فسكتوا . { قُلْ يَا أَهْلَ * قَوْمٍ * اءْمَلُواْ } : تقدم الكلام على نظيرها .

{ إِنْزَالَنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ } فَمَنْ اهْتَدَى
فَلَنُفِئْسَ بِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّا نَمْلِكُ يَضِلُّ عَلَيْهِهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ
بِوَكِيلٍ اللَّهُ { . .

لما كان عليه السلام يعظم عليه عدم إيمانهم ورجوعهم إلى ما أنزل الله تعالى عليه ، سلاه
تعالى عن ذلك ، وأخبره أنه أنزل عليه الكتاب ، وهو القرآن ، مصحوباً بالحق ، وهو دين
الإسلام ، للناس : أي لأجلهم ، إذ فيه تكاليفهم . { فَمَنْ اهْتَدَى }